

حتى مثل هذه الشقة الصغيرة — ، وقيم مع خمسة أو ستة أطفال في حسي حقير « للسود » ؟ — وكيف يمكن أن تنشأ علاقات أيضا بين ذلك البيروقراطي الذي يعمل في دائرة ما ، والذي يحلم أن يظل في مكانه هذا حتى التقاعد .. وهو يعلم تماما .. أن طرده من وظيفته عمليا غير ممكن هذا من ناحية ، وبين المهاجر الجديد القادم من الاتحاد السوفييتي الذي يذهب عشرات المرات « للمقابلة » من أجل العمل .. وينتقل دائما نفس الجواب « سافلانوت » (الصبر) ، و (كل شيء سيكون حسنا) ؟

ان غيرتليب يورد الحديث التقليدي الذي يدور بين موظف الدائرة الحكومية المكلف بالاهتمام بالقادمين الجدد ، وبين مواطن سوفييتي سابق :

« — لا يوجد عمل ، ولا يتوقع قريبا . ولكن كل شيء سيكون حسنا .

— كيف يمكن أن يكون كل شيء حسنا ، اذا كان مكتب العمل لا يجد لنا عملا ؟

— الوساطة ضرورية .. وكل شيء سيكون حسنا .

— لا توجد لدي شقة .

— الصبر . ولكن لماذا تريد ان تقيم في حيفا ؟ اسكن في « ديمون » .

— في « ديمون » لا يوجد عمل للهندسين .

— ولكنك ستنتزع بأظافرك لك سكنا .

— فليذهب السكن الى الشيطان ، اذا كان المهندس لا يستطيع ان يجد له عملا هناك على الاطلاق .

— ولكن هل من الضروري أن تعمل مهندسا ؟ — جميعكم تأتون الى هنا وتطلبون ..

تطلبون .. اعطونا عملا وسكنا » .

وفي نهاية اعترافه يدلي غيرتليب بهذا التصريح المر : « انه لأمر صعب ان يعترف الانسان وهو في سن الأربعين ، بأن حياته كلها كانت عديمة الجدوى ، ومكرسة لمثل كاذبة . ولكن من وجهة نظري .. يجب أن تكون الحياة مروعة لكل واحد صدمه الواقع الاسرائيلي — كمثلي أنا — ولا يجد لديه القوة والشجاعة ليحدث اليهود الآخرين عن كل شيء ، وعن كل ما يحدث هنا » .

هذا وان بنتسيون غريغوريفتش توفبين صديق غيرتليب الذي ينسجم مع آرائه ، قد استقبل هو الآخر في اسرائيل بأذرع مفتوحة . لقد علموا هناك .. بأنه منذ زمن بعيد .. قد أعلن وبشكل واسع عن رغبته للاقامة في اسرائيل .. وللابد . وتوفبين هذا يختلف عن الاكثريه من المواطنين السوفييت السابقين بأنه يتمتع بشهرته كصهيوني . ولهذا .. وبدون أي تحقيق معه .. تسلم عملا يتعلق بالسفر من حين لآخر الى الموانئ الغربية . وها هو الان بعد ان غادر اسرائيل يقول بكل ألم : « لا ابالغ اذا قلت بأنه غالبا ما داهم شعورنا في اسرائيل احساس بأننا فعلا اناس سابقون » .

— ولا يتوقف توفبين عن ارسال التماساته من أجل السماح له بالعودة الى الاتحاد السوفييتي . ومما يثير الدهشة حقا ، تلك الثقة .. أو بالاحرى الثقة بالنفس التي تبدو في التماسات وتوسلات غالبية المهاجرين بالسماح لهم بالعودة . حتى الكبار منهم والذين حنكتهم تجارب الحياة .. يتصورون .. وبكل سذاجة ، بأنه عند أول طلب لهم .. على الفور .. سيرتفع امامهم حاجز الحدود .